تفريغات

أصول التفسير

لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

عضو هيئة كبار العلماء
والأستاذ بكلية الشريعة بالقصيم

- رحمه الله تعالى -

شرح شيخنا الفاضل العلامة

أحمد بن عمر سالم بازمول

حفظه الله تعالى

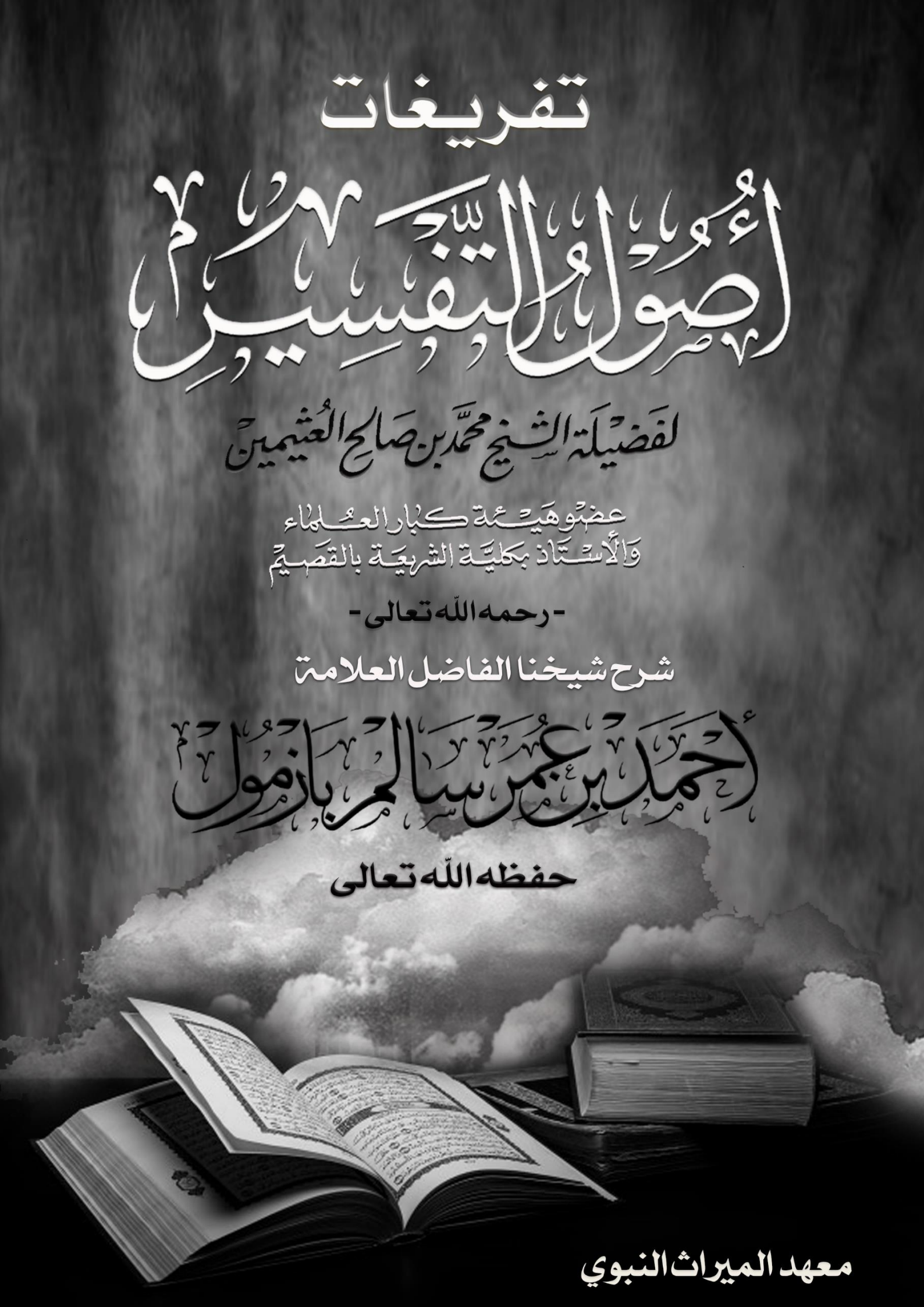

معهد الميراث النبوي

إِنَّ الحَمْدَ لِله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمن سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

ألا وإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَام كَلَام الله ، وَخَيْرَ الهُدى هُدى مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أمّا بعد :

فقد توقفنا عند قول **الشيخ العثيمين - رحمه الله تعالى - في " أصول في التفسير " :**

التفسير لغة ، قال - رحمه الله تعالى - :

" التفسير لغةً : من الفَسْرِ ؛ وهو الكشف عن المُغطى .

وفي الاصطلاح : بيان معاني القرآن الكريم . "

إذًا ؛ **التفسير في اللغة** : على وزن تفعيل تفسير ، وأصل الكلمة فَسَرَ .

والفَسْر في اللغة : هو الكشف عن المغطى .

وقال بعض أهل العلم : إن " **تفسير** " هذه الكلمة مأخوذة من **سَفَرَ** .

وسَفَرَ في اللغة : الكشف والبيان ، وهذا معروف في لغة العرب تقديم الحرف على الحرف في الكلمة الواحدة مثل : **جذبَ وجبذَ** ؛ لكن الشيخ

- رحمه الله تعالى - اختار أنه من الفَسْر على ظاهر الكلمة وكلا المعنيين صحيحان .

وقال : **" في الاصطلاح -** يعني عند علماء التفسير - **هو بيان معاني القرآن الكريم "** ؛ لأن **التفسير** فيه إيضاح وفيه كشف وفيه بيان ، بيان معاني القرآن الكريم من جهة بيان مدلول ألفاظه ومن جهة بيان مدلول جمله وآياته ، فالمفسر يبين لنا المراد من الآية على حسب الطاقة البشرية ، نضيف هذا القيد ؛ لأن المفسر مهما بلغ من العلم لا يستطيع أن يحيط بمعاني القرآن ، وابن تيمية - رحمه الله تعالى - فسَّر القرآن وبيَّن معانيه واشتغل فيه وقرأ مئات الكتب وأكثر في تفسيره ، ومع ذلك في آخر عمره ندم على عدم كثرة اشتغاله بالقرآن ومعانيه وأنه - يعني - مليءٌ بالمعاني والأسرار التي يدركها من سلك الطرق الشرعية لتَفَهُّم كتاب الله - عز وجل - .

فإذًا ، المفسر إذا فسر القرآن إنما يبين معانيه ، وبيانه هذا على حسب ما أوتي من العلم والاستنباط لكتاب الله - عز وجل - .

طيب ؛ ثم بين - رحمه الله تعالى - **" حكم تعلم التفسير "** فقال :

" وتعلم التفسير واجب "

ما الدليل ؟

قال **" : لقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[1] ، ولقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[2] "** .

إذًا ؛ **حكم تعلم التفسير** : واجب ، والوجوب هنا **كفائي** ؛ يعني لا يجب على جميع الأمة أن يتعلموا معاني القرآن الكريم ، وإنما إذا قام به البعض

[1]) سورة ص [الآية : 29] .
[2]) سورة محمد [الآية : 24] .

سقط الإثم عن الباقين .
طيب ؛ الشيخ - رحمه الله - استدل بقوله تعالى :
﴿ **كِتَابٌ** ﴾ **:** أي القرآن .
﴿ **أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ** ﴾ **:** أي على النبي - صلى الله عليه وسلم - ولأمته من بعده
﴿ **مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا** ﴾ : **التدبر :** هو التفهم والتعقل لمعانيه .
وقوله : ﴿ **لِّيَدَّبَّرُوا** ﴾ : أي لكي يدَّبروا ، فاللام هنا تفيد التعليل ، ﴿ **لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ .
يقول الشيخ : **" ووجه الدلالة من الآية الأولى ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ " .**
قال : **" أن الله تعالى بين أن الحكمة من إنزال هذا القرآن المبارك أن يتدبر الناس آياته ويتعظوا بما فيها " .**
قال : **" والتدبر : هو التأمل في الألفاظ للوصول إلى معانيها ، فإذا لم يكن ذلك فاتت الحكمة من إنزال القرآن وصار مجرد ألفاظٍ لا تأثير لها ، ولأنه لا يمكن الاتعاظ بما في القرآن بدون فهم معانيه " .**
إذًا ؛ وجه الاستدلال من هذه الآية واضح ؛ أن الله - عز وجل - بيَّن أن الحكمة من إنزال القرآن من الحِكم **تدبر معانيه** .
والتدبر : التأمل والتفهم والتعقل لمعاني هذا الكتاب العظيم .
وهذه الآية استدل بها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - فسَّر لأصحابه وللأمة من بعده القرآن ، فسَّر لهم القرآن .

قال : **" ووجه الدلالة من الآية الثانية -** وهي قوله تعالى **:** ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ قال : - **أن الله تعالى وبَّخ أولئك الذين لا يتدبرون القرآن وأشار إلى أن ذلك من الإقفال على قلوبهم وعدم وصول الخير إليها ، وكان سلف الأمة على تلك الطريقة الواجبة**

يتعلمون القرآن ألفاظه ومعانيه لأنهم بذلك يتمكنون من العمل بالقرآن على مراد الله به فإن العمل بما لا يُعرف معناه غير ممكن " .

إذًا ؛ الشيخ - رحمه الله تعالى - وضح أن قوله تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ ؛ كان في سياق ذم وتوبيخ الذين لم ينتفعوا من القرآن لأن الله - عز وجل - قال في شأنهم : ﴿ **فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّـهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّـهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾**[3] .

فوبخهم الله - عز وجل - على عدم الانتفاع بالقرآن تدبُّرًا لمعانيه وألفاظه وجمله ؛ وهذا التوبيخ دليلٌ على أنهم يجب عليهم أن يتعلموا معانيه حتى ينتفعوا به .

ثم انتقل - رحمه الله تعالى - بعد أن ذكر الآيتين إلى بيان حال السلف من الصحابة - رضوان الله عليهم - وأنهم سلكوا تلك الطريقة الواجبة ؛ **" فكانوا يتعلمون القرآن ألفاظه ومعانيه لأنهم بذلك يتمكنون من العمل بالقرآن على مراد الله به ، فإن العمل بما لا يُعرف معناه غير ممكن " .**

ولذلك قال الله - عز وجل - : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّـهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴿١٩﴾**[4] ، قال **البخاري : " فبدأ بالعلم قبل القول والعمل " .**

يقول **أبو عبد الرحمن السلمي : " هذا الدليل على ما ذكره الشيخ - رحمه الله تعالى - من تعلم الصُحابة وكيفية تعلمهم للقرآن ومعانيه وتفسيره**

[3]) سورة محمد [الآيات : 21-22-23-24] .
[4]) سورة محمد الآية 19 .

" ؛ وهذا الأثر أيضا استدلّ به **شيخ الإسلام ابن تيمية** على أن القرآن تم تفسيره وإيضاحه .

يقول أبو عبد الرحمن السُلَمي - وهو من التابعين - قال : **" حدثنا الذين كانوا يقرؤننا القرآن كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعودٍ وغيرهما ، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي - صلى الله عليه وسلم - عشر آيات لم يُجاوزوها** - يعني لم ينتقلوا إلى الآيات التي بعدها - **حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا** - أي الصحابة الذين حَدَّثُوا أبا عبد الرحمن السُلمي - **: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا " .**

فتعلمنا القرآن : حفظناه وعرفنا معانيه والعلم المراد به .

والعمل : لمّا تعلمنا عملنا بما علمنا .

وهكذا كانت طريقة السلف هي الطريقة الدالة على أفضل الطرق لحفظ القرآن ، أمّا أن يُحفظ القرآن في أيام يسيرة في شهر أو شهرين أو أسبوع أو أسبوعين ؛ فهؤلاء يحفظون حروفه ويضيعون حدوده .

والطريقة السلفية الأثرية التي كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يفعلونها ويسيرون عليها : هي تعلم القرآن شيئًا فشيئًا ؛ لأنه ليس المراد الكثرة ، كثرة المحفوظ ، وإنما المراد العمل والعلم ، العمل على بصيرة على نور على علم ، أن تعبد الله بالطريقة الشرعية .

ولذلك عمر- رضي الله عنه - لمّا أخبره أبو موسى الأشعري أنه حفظ في جهته كثيرٌ من المشتغلين بحفظ القرآن من الصبيان أنهم حفظوا القرآن وأتموه في عامٍ أو عامين خاف وقال - يعني - في كلام معناه **أن هؤلاء سيحفظون القرآن ولكن لا يفهموا معانيه** ، وهؤلاء الذين يحفظون

القرآن ولا يفهموا معانيه يكونون عرضة للفتنة لأنفسهم ولغيرهم ؛ حيث يظن الناس بهم أنهم أهلٌ لتلقي العلم وهم جهلة .

ولذلك جاء في بعض الآثار أن الخوارج قدَّموا الحفظة حتى يخدعوا بهم الناس ، فجعلوا الحفظة في مقدمة جيوشهم فيقول الناس معهم فلان وفلان من القراء ؛ ولذلك جاء في الحديث : **(كيف أنتم إذا كثر قراؤكم وقل فقهاؤكم)**[5] .

ليس المراد بالفقهاء فقهاء الفقه هذا المذهبي يعني فقط الأمور العملية صلاة وزكاة لا ؛ وإنما قل الفقهاء الذين يفقهون معاني الدين والسنة وهدي السلف الصالح - رضوان الله عليهم - ، فيكون فهمهم للدين فهمًا عامًا في العقيدة والمنهج والأحكام الشرعة الفقهية .

فإذًا ؛ هذه هي الطريقة النافعة الناجعة لحفظ كتاب الله - عز وجل - ؛ ولذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - لمَّا ذكر الخوارج ذكر أنهم يقرؤون القرآن أكثر من قراءة الصحابة ؛ ولكن **ما حالهم ؟ ما استفادتهم من القرآن ؟** قال : **(لا يجاوز حناجرهم ، لا يجاوز تراقيهم)**

لمـــاذا ؟

لأنهم لم يفهموا معانيه ، وإلا قارئ يقرأ القرآن يُكفِّر المسلمين !

قارئ يقرأ القرآن ويحفظه ويحسِّن صوته بقراءته يُكفِّر حكام المسلمين !
قارئ يقرأ القرآن يعين على الخروج على ولاة الأمر وعلى الطعن فيهم وعلى الانضمام إلى الجماعات الإرهابية !

---

[5]) [عن] عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ - رضيَ اللهُ عنهُ - إذ قال : (كيف أنتم إذا لبسَتكُمْ فتنةٌ يهرمُ فيها الكبيرُ ، ويربو فيها الصَّغيرُ [ويتَّخذُها النَّاسُ سنَّةً] ، إذا تُرِكَ منها شيءٌ قيل : تُرِكتِ السُّنَّةُ، قالوا : ومتَى ذاكَ ؟ قال : إذا ذهبتْ علماؤكُم ، وكثُرَتْ قرَّاؤكُم وقلَّتْ فقهاؤكُم ، وكثُرَتْ أمراؤكُم وقلَّتْ أُمَناؤكُم ، والتُمِسَتِ الدُّنيا بعملِ الآخرةِ ، وتُفُقِّهَ لغيرِ الدِّينِ) .
الراوي: - المحدث: الألباني | المصدر : صلاة التراويح | الجزء أو الصفحة : 5 .

نعوذ بالله من الخذلان حاشا كتاب الله من هذا الأمر ؛ ولكن هؤلاء لم يفهموا معاني كتاب الله ، وإنما ساروا على أهوائهم وجهلهم فضلوا وأضلوا عن الطريق - نسأل الله السلامة - .

لذلك هذه القضية مهمة أن يعيها الناس ، لا تحرص يا عبد الله على مجرد تَحفَظ أو أن تُحفِّظ ابنك القرآن ؛ ولكن احرص على أن تفهمه معانيه وأن تفهمه السنة وطريقة سلف الأمة في العلم الشرعي حتى ينجو - بإذن الله تعالى - من الضلال والانحراف .

يقول الشيخ - رحمه الله تعالى - : **" قال شيخ الإسلام ابن تيمية : والعادة** - الآن ينتقل إلى دليل عقلي يذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " والعادة تمنع أن يقرأ قومٌ كتابًا في فن منٍ العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم " .**

هذه الحجة مفادها : أن الناس في حياتهم لو أتاهم آتٍ وأعطاهم كتابًا في علمٍ لا يعرفوه كأن يكون في الحساب أو الطب أو في غيرهما .

فقال لهم : اعملوا به .

فيقولون له : **كيف نعمل به ؟ بين لنا معانيه وضح لنا !**

فإذا كان هذا في أمور الدنيا وكلام الناس فكيف بكلام الله - عز وجل - !

فلا شك أن النبيّ - صلى الله عليه و سلّم - بين لهم معانيه ؛ كتاب الله هو عصمتهم من الضلال والانحراف ومنقذهم - بإذن الله تعالى - ، وبه نجاتهم وسعادتهم إذا علموا معانيه وعملوا به وقيام دينهم ودنياهم ،

صلاح دينهم ودنياهم بالقرآن والسنة أيضًا (**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**)[6] .

يقول : - والكلام لا زال لابن تيمية - رحمه الله تعالى - - :

" ويجب على أهل العلم أن يبينوه للناس عن طريق الكتابة أو المشافهة لقول تعالى : ﴿وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾[7]

قال : **" وتبيين الكتاب للنّاس شاملٌ لتبيين ألفاظه ومعانيه ، فيكون تفسير القرآن مما أخذ الله العهد على أهل العلم ببيانه " .**

إذًا ؛ الله - عزّ وجلّ - يقول : ﴿**وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ** ﴾ ؛ فبيان كتاب الله : أن يقرؤوه عليهم وأن يبنوا لهم ألفاظه ومعانيه وما فيه من العلم والعمل ، فهذا عهدٌ أخذه الله - عزّ وجلّ - على أهل العلم .

يقول الشيخ - رحمه الله - : **" والغرض من تعلّم التفسير هو الوصول إلى الغايات الحميدة والثمرات الجليلة وهي : التصديق بأخباره ، والانتفاع بها ، وتطبيق أحكامه على الوجه الذي أراده الله ليُعبَد الله بها على بصيرة " .**

يعني ؛ **فائدة وثمرة تعلّم التّفسير :**

- **أن تصدق بأخباره :** من ذكر النّار والجنّة وذكر الأمم الماضية ووعده ووعيده .

- **وأن تنتفع بها .**

- **وأن تطبق أحكامه :** من حلالٍ وحرامٍ ووجوبٍ ونحو ذلك على الوجه

---

[6]) الراوي : المقدام بن معدي كرب | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الجامع | الجزء أو الصفحة : 2643 .

[7]) سورة آل عمران [الآية : 187] .

الذي أراده الله ﴿ **وَأَحَلَّ اللَّـهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ﴾[8] ، فحرّم الرّبا بكل صوره وأشكاله وأحجامه كثيرا أو قليلا .

وأمر الرجال بغضّ الأبصار وأمر النّساء بغضّ الأبصار ، فيعمل الرجل بذلك ؛ فلا ينظر إلى امرأةٍ لا تحلّ له ، وتعمل المرأة بذلك فتتحجب وتبتعد عمّا لا يحلّ لها من الأمور .

فإذًا ؛ هذا الكتاب - القرآن العظيم - اشتمل على هذه الأمور كلّها ، وقد مرّ معنا أن القرآن نزل **لحكم كثيرة من أجلّها :**

- أن يُقرأ ويُتلى ، **واحد** .

- **اثنين :** أن يُعمل به ، العمل بأحكامه .

- **ثلاثة :** أن يُتَدبَّر ، والتدبّر داخلٌ في تفسيره وفهم معانيه ، وهذا فتحٌ من الله - عزّ وجلّ - على العبد كلّما أكثر القراءة في القرآن مع تدبر معانيه وتفهّمه وطلب تفسيره على الوجه الشرعي فإنه يُوفق من العلم ما لا يُوقف غيره .

- ثم قال الشيخ : **" الواجب على المسلم في تفسير القرآن "**

ما هو موقف المسلم العالم وطالب العلم المستطيع للتفسير ؟

هل يعني يُفسر القرآن كما يحلو له ؟

كما قال ذلك المفسد في الأرض ، قال : **" القرآن ذا للناس كلها "** ؛ يعني المهندس يفسر القرآن ، والنجار يفسر القرآن والكذا يفسر القرآن ، كل واحد يقدر يفسر القرآن ، ففتح الباب للجميع أن يفسر القرآن .

ولذلك تجد التخبطات والمزالق والانحرافات في تفسير كتاب الله ، فبعضهم نزَّل آيات من سورة التوبة على أحداث احدى عشر سبتمبر ،

[8]) سورة البقرة [الآية : 275] .

وبعضهم يُنزل آيات من سورة النساء أو غيرها في تكفير الحكام ، وبعضهم يُنزل الآيات نزلت في الكفار فيحملها على أهل الإسلام !!

لا ! كتاب الله هذا القرآن هو كلام الله - عز وجل - .

يقول الشيخ : **" الواجب على المسلم في تفسير القرآن أن يُشعر نفسه حين يفسر القرآن بأنه مُترجِم عن الله تعالى - والمترجم :** هو الناقل للكلام والمبيِّن له والشارح له - **بأنه مترجمٌ عن الله تعالى شاهدٌ عليه بما أراد من كلامه فيكون معظمًا لهذه الشهادة ، خائفًا من أن يقول على الله بلا علم ، فيقع فيما حرَّم الله " .**

ولذلك العلماء - بارك الله فيكم - العلماء اعتبروا وقالوا : إن التفسير الوارد عن الصحابة له حكم الرفع وأنه يُعمل به لأن الصحابة - رضوان الله عليهم - لا يُقدِمون على تفسير كتاب الله هكذا ، إلا بعلمٍ تلقوه عن الرسول ، فكان تفسير الصحابة مما له حكم الرفع .

ولذلك أبو بكر - رضى الله عنه - كان يقول : **" أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم "** ، وكذا عُمرَ وهذا ثابتٌ عنهما كما قال الحافظ ابن حجر بأسانيد جيدة ، فكان الصحابة يتوقفون ويتورعون حتى يقفوا على علم في الآية ، قال : **" فيقع فيما حرم الله فيُخزى بذلك يوم القيامة ".**

قال العلماء وهذا بالإجماع : **" من فسر القرآن بلا علم فهو آثمٌ ولو أصاب في تفسيره ، لأنه تجرَّأ وأقدم على تفسير كتاب الله بلا علم "** ، وأما حديث **" من فسر القرآن برأيه فقد أخطأ ولو أصاب "** ؛ فهو حديث ضعيف ضعفه الألباني - رحمه الله تعالى - .

قال مستدلًا على ما ذكره الشيخ قال : **" قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن**

تُشْرِكُوا بِاللَّـهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّـهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [9] "ووجه الاستدلال في الآية في قوله : ﴿ **وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّـهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ ، فتفسير القرآن بلا علم هو قولٌ على الله بلا علم .

وهذه الآية فيها خطورة القول على الله بلا علم ، ووجه ذلك أن الله - عز وجل - ذكر المحرمات الأشد فالأشد وجعل القول عليه بلا علم من أشدها ، بل جعله - سبحانه وتعالى - أعظم خطرًا من الشرك ، كما قال ابن القيم الجوزية وغيره من أهل العلم ، لأن الآية ذكرت المحرمات الأشد فالأشد ، فجعلت القول على الله - عز وجل - في آخرها فهو أشدها .

ثم قال : " **وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾** (الزمر : 60) "

فالذي يفسر القرآن بلا علمٍ هو مفترٍ وكاذب لأنه يقول أراد الله بقوله كذا ، والمراد بالآية كذا وكذا ، ولذلك كان هذا الباب دقيق وخطير وجليل ، على المسلم أن يستشعر أنه يبيِّن مراد الله من كتابه وأنه مترجِمٌ لمعاني القرآن فليعدْ للسؤال جوابًا إذا سُئل بأي علمٍ تكلمت ؟ .

ثم انتقل الشيخ - رحمه الله تعالى - إلى طرق التفسير ، إلى طرق تفسير القرآن وهذه الطرق على سبيل الاختصار :

- هي أن يُفسر القرآن بالقرآن .
- وأن يُفسر القرآن بالسنة .
- ثم يُفسر القرآن بأقوال الصحابة والتابعين .

[9]) سورة الأعراف (الآية : ٣٣)

- فإن لم يوجد يُفسر القرآن باللغة العربية .
وسيبيِّن الشيخ - رحمه الله تعالى - هذا بالتفاصيل .

فقال - رحمه الله تعالى - : " **يُرجع في تفسير القرآن إلى ما يأتي على الترتيب** " ؛ يعني لا يأتينا الواحد يقول أنا أبحث عن معاني هذه الآية في اللغة العربية لا ؛ أولًا تبحث عن معناها في القرآن والسنة ، فإن لم تجد تبحث في كلام الصحابة والتابعين ، فإن لم تجد معناها في هذه المواطن تذهب إلى اللغة العربية .

قال : " **كلام الله تعالى فيفسر القرآن بالقرآن لأن الله تعالى هو الذي أنزله وهو أعلم بما أراد به** " ؛ يعني أن القرآن يُفسر بالقرآن ، وهذا دليله قوله تعالى : ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ** ﴾ ؛ فظن الصحابة - رضوان الله عليهم - وفهموا من مطلق الآية " **الظلم** " أنه يشمل كل ظلمٍ ؛ ذنوب ومعاصي وشرك وكفر فخافوا على أنفسهم ، فلما ذهبوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وسألوه قال : (**ليس الظلم الذي تذهبون إليه ، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح** ﴿ **يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ** ﴾[10]) .

فبين لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - تفسير الآية بالآية فهذا مثاله ، وهذا المثال فيه **فوائد كثيرة :**

- **منها** : تفسير القرآن بالقرآن .

- **ومنها** : تفسير القرآن بالسنة ، إذ بيَّن لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه ليس المراد مطلق الظلم ؛ ذنوب ومعاصي وشرك وكفر ، وإنما المراد به في هذا الموطن الشرك والكفر وفيه فوائد أخر .

[10]) سورة لقمان الآية : 13 .

قال الشيخ : " **ولذلك أمثلة منها : قوله تعالى :** ﴿ **أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ **(يونس : 62) ، فقد فسر أولياء الله بقوله في الآية التي تليها :** ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ** ﴾ **(يونس : 63)** " .

فالولي : هو المؤمن التقي ، أما الذي يشرب الخمر ولا يحضر الصلوات ويعاشر المردان ويسبل الثياب ويفعل أفعال الفجار والفساق فهو عدو لله ولي للشيطان لا الرحمن ، ففرقٌ بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، فولي الرحمن هو المؤمن التقي ؛ لأن الله لما قال : ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ فسر هذا بقوله - فسر الأولياء - بقوله : ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ** ﴾ .

ثم مثال آخر قال : " **قوله تعالى :** ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ** ﴾[11] ؛ فقد فسر " **الطارق** " بقوله في الآية : ﴿ **النَّجْمُ الثَّاقِبُ** ﴾[12] " ؛ يعني النجم الذي يكون في السماء الظلماء يثقب ظلمتها بنوره ، ﴿ **وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2)** ﴾ .

الطارق في اللغة : كل من أتى ليلا وطرق ؛ لكن هنا فسره بقوله : ﴿ **النَّجْمُ الثَّاقِبُ** ﴾ .

وقوله تعالى - مثال آخر - : ﴿ **وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا** ﴾[13] ؛ أي بسطها وذللها ، فقد فسر ﴿ **دَحَاهَا** ﴾ بقوله في الآيتين بعدها : ﴿ **أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾**[14] ، فكانت الأرض غير مستوية وغير صالحة للعيش فيها والله - عز وجل - : ﴿ **أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ :** ثبتها وذلل الأرض ليعيش فيها الناس ، إذا أول القرآن بالقرآن .

---

[11]) سورة الطارق [الآية : 02] .
[12]) سورة الطارق [الآية : 03] .
[13]) سورة النازعات [الآية : 30] .
[14]) سورة النازعات [الآيتين : 31-32] .

ب - قال : **" كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيفسر القرآن بالسنة لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مبلغ عن الله تعالى فهو أعلم الناس بمراد الله تعالى بكلامه "** قال : **" ولذلك أمثلة "** .

طبعا هنا ليس المراد أن تفسر القرآن بالقرآن ولا ترجع للسنة وإنما تفسر القرآن بالقرآن مع السنة ، فإن لم تجد في القرآن تبحث عنه في السنة .

قال : **" ولذلك أمثلة منها قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[15] ، فقد فسر النبي - صلى الله عليه وسلم - الزيادة بالنظر إلى وجه الله - تعالى - فيما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم صريحًا من حديث أبي موسى وأُبيّ بن كعب ورواه ابن جرير من حديث كعب بن عجرة وفي صحيح مسلم عن صهيب بن سنان عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في حديثٍ قال فيه : (فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم - عز وجل -) ثم تلا هذه الآية : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾** ؛ فهنا فسر **الزيادة** بالنظر إلى الله - عز وجل - .

ثم ذكر مثالًا آخر في قوله : **" وقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾[16] ؛ فقد فسر النبي - صلى الله عليه وسلم - القوة بالرمي رواه مسلم "** .

قال : **" ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي "** ، قال : **" رواه مسلم وغيره من حديث عقبة بن عامر - رضي الله عنه - " .**

فهنا **" القوة "** فسر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن المراد بها الرمي ؛ لأن الرمي من أفضل الأسلحة والعتاد لضرب العدو وإفشالهم وتضعيف شوكتهم .

---

[15]) سورة يونس [الآية : 26] .
[16]) سورة الأنفال [الآية : 60] .

ثم قال بعد تفسير القرآن بالقرآن ثم تفسيره بالسنة قال : **" كلام الصحابة - رضي الله عنهم - أي يُفسر القرآن بكلام الصحابة - رضوان الله عليهم - لاسيما ذوو العلم منهم والعناية بالتفسير لأن القرآن نزل بلغتهم وفي عصرهم** - وسيأتينا - إن شاء الله - من كلام الشيخ فصل متعلق بالمفسرين من الصحابة والتابعين - **فقال : " ولأنهم بعد الأنبياء أصدق الناس في طلب الحق ، وأسلمهم من الأهواء ، وأطهرهم من المخالفة التي تحول بين المرء وبين التوفيق للصواب "** .

هنا يشير الشيخ إلى **مسألة مهمة وهي :** أن الصحابة - رضوان الله عليهم - هم عدولٌ ثقات لا يُسأل عنهم !

لا يُسأل عن عدالتهم !

ومن طعن فيهم فهو مبتدعٌ ضال ، والطعن في صحابيٍّ واحد كالطعن في جميع الصحابة - رضوان الله عليهم -

لا يجوز تنقصهم ولا سبهم ولا شتمهم فهم عدول يُقبل قولهم - رضي الله عنهم - في تفسير كتاب الله - عز وجل - ؛ لأنهم أهل تقوى وإيمان ورضيهم الله لصحبة نبيه ، وشهدوا التنزيل وعلموا مواقعه - رضي الله عنهم وأرضاهم - .

وهذا خاصٌ بالصحابة لا يقال مثل هذا في غيرهم ، فلا يأتينا آتٍ في عالمٍ من العلماء أو عابدٍ من العباد أو طالبٍ علمٍ بأن أقواله كلها يجب قبولها وأن أقواله كلها صحيحة وأن هذا العالم يُؤخذ من قوله غيره ويُرد إلا قوله ؛ فلا شك أن هذه انحرافات في المفاهيم وضلالات في العلوم ، نسأل الله أن يطهر عقولنا وقلوبنا من التعصب ومن الجهل والتعالم ومن ما لا يرضاه من القول .

ثم ذكر أمثلة لتفسير الصحابة ، فقال : **" ولذلك أمثلة كثيرة جدّا : منها : قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ**

الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [النساء : من الآية 43] ، فقد صح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أنه فسر الملامسة بالجماع) " .

فليس المراد " **بالملامسة** " مجرد ملامسة البشرة فينتقض الوضوء بمجرد أن تلمس المرأة في يدها أو في وجهها أو في أي موطنٍ آخر ؛ لا ، بينَ أن " **الملامسة** " المراد بها في هذه الآية " **الجماع** " ، وهذا تفسير ابن عباس - رضي الله عنه - لمعنى " **الملامسة** " .

ثم قال : " **وكلام التابعين** " ؛ أي قال يعني يُفسر القرآن بكلام التابعين ؛ **والتابعون** : هم الذين أدركوا الصحابة - رضوان الله عليهم - وأخذوا عنهم ، وابن تيمية ذكر جملًا كثيرة عن " **مجاهد** " و " **طاووس** " وغيرهم بينوا فيها كيف أخذوا القرآن عن الصحابة ، ولعل الشيخ الآن يذكر بعضًا منها :

فمجاهد يقول : " **عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرات أستوقفه عند كل آية** - يعني يسأله - قال : " **كلام التابعين الذين اعتنوا بأخذ التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم** " ؛ هذا تخصيص ليس كل تابعٍ يؤخذ بقوله بالتفسير ، وإنما الذي اعتنى بأخذ التفسير عن الصحابة .

قال : " **لأن التابعين خير الناس بعد الصحابة ، وأسلم من الأهواء ممن بعدهم ، ولم تكن اللغة العربية تغيرت كثيرًا في عصرهم ، فكانوا أقرب إلى الصواب في فهم القرآن ممن بعدهم** " .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : " إذا أجمعوا - يعني التابعين - على الشيء فلا يُرتاب في كونه حجة ، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ، ويُرجع في ذلك إلى لغة القرآن ، أو السنة ، أو عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة في ذلك " ؛ يعني أن أقوال التابعين عند الاجتماع والإجماع على القول حجة ، أو عدم المخالف لقول لبعضهم ، وأما إذا اختلفوا فليس قول بعضهم حجة

على بعض ولا حجةً على من بعدهم ؛ لأنهم - رحمة الله عليهم - عند الاختلاف يظهر أن أقوالهم عن طريق الاجتهاد ، واجتهاد التابعين فمن بعدهم ليس بملزمٍ لغيرهم ؛ انتبهوا !

شوف ، تابعون وأخذوا عن الصحابة فإذا اجتهدوا احتمال أن يكونوا أصابوا واحتمال أن يكونوا أخطؤوا فلا يكون قولهم الاجتهادي حجةً على غيرهم .

فما يأتينا واحد يجعل قول العالم ملزم وحجة مطلقًا هكذا ، فإذا خالف بعض طلبة العلم قول العالم الذي هو عن طريق الاجتهاد ضلَّله وفسَّقه وبدَّعه وحذَّر الناس منه !
هذا مسلكٌ حدادي مسلكٌ منحرف فاحذروا منه .

وقال أيضا - أي شيخ الإسلام - : **" من عدل** - يعني عدل : بمعنى انحرف ومال عن طريقهم - **من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئًا في ذلك بل مبتدعًا ، وإن كان مجتهدا مغفورا له خطؤه "** ؛ يعني إذا اجتهد العالم وأخطأ في اجتهاده ولم يأخذ بقول الصحابة أو التابعين ، فهو إن كان مخطئًا عن غير عمدٍ فهو مجتهد مغفور له خطؤه وإن كان عن عمدٍ فهو مبتدعٌ أي - منحرف - .
ثم قال : **" فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعًا "** ، فقد أخطأ في تفسير الآية وفي تحميل المعنى على الآية التي لا يحتمله .

ثم انتقل إلى آخر طريقةٍ في تفسير القرآن بعد تفسير القرآن بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة وأقوال التابعين ، قال : **" تفسير القرآن ؛ أي ما تقتضيه الكلمات من المعاني الشرعية أو اللغوية حسب السياق** - يعني

التفسير الاجتهادي بالرجوع إلى اللغة ونحوها لفهم القرآن - ، قال : " **حسب السياق لقوله تعالى : ﴿ إنا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّـهُ ﴾ [17] ، وقوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[18] ، وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[19] "** ؛ فهذه الآيات دلت على أن معنى القرآن في لغة العرب مُعتبر ، فإذا لم نجد تفسير الآية في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة ولا في التابعين ، فإننا نرجع لمعناه في لغة العرب لأن القرآن نزل بلسان مبين ونزل بلسان عربيٍ واضح ، فيكون الشرع قد أقر ظاهر معناه في اللغة هذا هو المراد ، ويستنبط منه على حسب القدرة والطاقة البشرية .

قال الشيخ : " **فإن اختلف المعنى الشرعي واللغوي أُخذ بما يقتضيه الشرعي ، لأن القرآن نزل لبيان الشرع لا لبيان اللغة ، إلا أن يكون هناك دليل يترجح به المعنى اللغوي فيؤخذ به** " ، قال : " **مثال ما اختلف فيه المعنيان ، وقُدم الشرعي قوله تعالى في المنافقين : ﴿ ولَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾[20] ، فالصلاة في اللغة : الدعاء ، وفي الشرع هنا : الوقوف على الميت للدعاء له بصفة مخصوصة فيُقدم المعنى الشرعي ؛ لأنه المقصود للمتكلِم المعهود للمخاطَب ، وأما منع الدعاء لهم على وجه الإطلاق فمن دليلٍ آخر** " .

وهنا الآية : ﴿ **ولَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا** ﴾ فسرت السنة وبينتها أن المراد بها عدم الصلاة عليهم ، فلو عندنا في الكلمة **معنى شرعي ومعنى لغوي** نقدم **المعنى الشرعي** .
ثم بين في مثال آخر **ما اختلف فيه المعنيان** قال : " **ومثال ما اختلف**

---

[17]) النساء : من الآية : 105 .
[18]) الزخرف : 3 .
[19]) إبراهيم : من الآية : 4 .
[20]) التوبة : من الآية 84 .

فيه المعنيان ، وقدم فيه اللغوي بالدليل : قوله تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[21] ، فالمراد بالصلاة هنا الدعاء ، وبدليل ما (رواه مسلم) عن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أوتي بصدقة قومٍ صلَّى عليهم ، فأتاه أبي بصدقته فقال : " اللهم صلِّ على آل أبي أوفى "[22] .

فهنا قوله تعالى : ﴿ **وَصَلِّ عَلَيْهِمْ** ﴾ ، هنا الصلاة على المزكي ليس المراد بها الصلاة ذوات الأركان والشروط من وقوف وتكبير وتسليم وركوع وسجود ، إنما المراد بها في معناها اللغوي وهو الدعاء ، **وتطبيقًا عمليًا** ؛ النبي - صلى الله عليه وسلم - لما دعا لآل أبي أوفى حينما أتوا بزكاتهم وصدقتهم .

أيضًا من **المعاني اللغوية** : مثلًا في تفسير القرآن : السفر فإنه أُطلق في الشرع ولم يحدد بمعنى معين في الشرع فيرجع إلى معناه في اللغة والعرف

وأيضا من ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾**﴾[23]، أي أقبل بظلامه أو أدبر بظلامه ، لأن عسعس تأتي بمعنى أقبل وأدبر من الكلمات المتضادة ؛ قال الشيخ : **" وأمثلة ما اتفق فيه المعنيان الشرعي واللغوي كثيرة : كالسماء والأرض والصدق والكذب والحجر والإنسان "** إذًا ؛ هذه هي طرق تفسير القرآن التي ذكرها الشيخ .

وأكتفي بهذا القدر وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

---

[21]) التوبة : من الآية 103 .

[22]) أخرجه البخاري ص342 ، كتاب المغازي ن باب 36 : غزوة الحديبية ، حديث رقم 4166 ، ومسلم ص 849 ، كتاب الزكاة ، باب54 : الدعاء لمن أتى بصدقة ، حديث رقم 2492(176) 1078 .

[23]) التكوير 17